في كل لحظة من لحظات الحاضر ، حلما عن المستقبل ، وهذا الحلم يتحول الى ماض قبل ان يصبح واقعا وحاضرا · في مثل هذا القلب للزمن ، ليس ثمة وجود او واقع لاي ظاهرة من الظواهر : كل شيء يختفي قبل ان يحدث ، المرأة المحبوبة تصبح امرأة عجوزا تكنس الارصفة وتدهسها القاطرة · والبطل يتحول الى بديلة ، رجل عجوز يقف في الجانب الاخر من السكة ·· ومن بين كل هذه التحولات نجد ان الشيء الوحيد الذي يظل قائما ، هو القطار الذي يمر ويدهس ويرمز الى الرحلة الهدامة والعدوانية التي تتم في الزمان والمكان في ظل هذه الحبكة ، تقوم رؤية سياسية لكاتب سبق له ان خاض « حرب الاستقلال » ·· لكنه بدأ في الوقت نفسه ينتقد تلك الحرب وغاياتها ووسائلها ·

في نهاية سنوات السبعين ، وفي رواية « الذبيحة ٢ » نلاحظ ان الايديولوجية الاجتماعية التي كانت مطمورة في البنية الزمانية لقصة « الحصان المتقن » ، باتت تبدو بوضوح : « عندما نصبح كبيرين ، هاباكوك وانا ، سوف نقيم وطنا جديدا · وفي وطننا الجديد هذا ، لن يفعل الناس الا الاشياء التي يحبون فعلا ان يفعلوها » غير ان الحلم سرعان ما يتحول الى حلم جرحى ينبغي رتقهم : « هناك سوف نداوي الجرحى ، ونقيم اود كل ما يمكن اقامة اوده ، وبعد ذلك سوف نعلمهم الكلام من جديد ، كما سنعلمهم كيف يمشون ويتذكرون ويبولون كما يحلو لهم ·· كذلك سنعلمهم كيف يحيون من جديد الحياة العائلية وكيف يكفون عن الصراخ ليلا » ·

نلاحظ هنا ان الامل الكبير والحلم الكبير لم يشوها على يد الواقع ، بل هما تحولا الى حالة الحلم · بطريقة او باخرى ، ولا سيما بعد الحربين الاخيرتين (١٩٦٧ و ١٩٧٣) ، حين اصبح الادب الاسرائيلي اكثر واقعية ، وصارت البنية السياسية التحتية اكثر ظهورا ، كانت حالة الحلم تلك شعورا عبر عنه معظم الكتاب الاسرائيليين الجيدين : اناس لا يكفون عن السير باتجاه « اورشليم » لكنهم لا يصلون اليها ابدا · وفي خلال طريقهم، يتشوه حلمهم ، ويسقط عالمهم الداخلي طللا ·· اما العالم الخارجي فيتحطم (عاموس اوز « حتى الموت » ١٩٧١) ويظلون وحيدين في ظل سماء خاوية وصامتة ·

ان السماء صامتة كلية الصمت بالنسبة الى اليهود ، منذ ايام بسكال ·· وهي هكذا بالنسبة الى الاسرائيليين كما بالنسبة الى غيرهم · ولكن الفارق الاساسي بين الاسرائيليين و ·· الفرنسيين على سبيل المثال ، هو ان المعضلة الوجودية بالنسبة الى الاوائل ، معضلة سياسية : في اسرائيل « نكون او لا نكون » ليس مسألة فردية ، بل مسألة جماعية · والكتاب يعالجون المشاكل القومية ليس لانهم قرروا بان على الكاتب ان يكون ملتزما ، بل لان السؤال الوجودي الاساسي هو سؤال مشترك بين جميع الافراد : ان السيرة الفردية لكل اسرائيلي ، هي تاريخ المجتمع بأسره ·

نقل النص الى العربية

ابراهيم العريس